



استقلالية المتعلم من خلال سيورة التعلم عن بعد، وساطة التكنولوجيا

محمد أمين لعليجي^١

أستاذ محاضر بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية، شعبة علوم الإعلام والاتصال، جامعة علي لونيسي، البلدية ٢، الجزائر.

(Received: 10 May 2022; Accepted: 2 February 2023; Published: 28 February 2023)

ملخص

إن الهدف الأساسي لهذه المساهمة هو التأكيد على أهمية التعليم عن بعد في علاقته باستقلالية المتعلم. فمنذ التحول في براديجم التعليم من التركيز على المعلم الى التركيز على المتعلم، قدمت العديد من الحلول لجعل التعليم أكثر استقلالية وإلهاما. يتعلق مفهوم الاستقلالية كما قدمه العديد من الباحثين باستباق المتعلم في الولوج والبحث عن المحتوى والوفاء بمتطلبات المعلمين. هذا جعل الباحثون يستخلصون بأن مصدر الاستقلالية هو داخلية الفرد مما يجعل الطلاب مسؤولين عن تعلمهم. في الوقت نفسه، نبحت في كيفية استخدام الجامعات لإمكانيات التكنولوجيا الناشئة تحت شعار الويب ٢.٠ لتسهيل تلبية جميع احتياجات المتعلمين وتعزيز التعلم عن بعد. من خلال توظيفنا للمنهج التحليلي، توصلنا لأهم النتائج الآتية: (١) دور وساطة التكنولوجيا والأدوات التعاونية على الخط في دعم التعلم البعدي، (٢) أهمية تحقيق استقلالية المتعلم كشرط لنجاح التعلم البعدي، (٣) أن التكنولوجيا واستقلالية المتعلم يشكّلان المتطلبات التقنية والمعرفية لنجاح التعلم البعدي.

الكلمات الأساسية: التعلم عن بعد، استقلالية المتعلم، التعلم التشاركي، التعلم من خلال الأقران، وساطة التكنولوجيا.

¹E-mail: m.lalidji@univ-blida2.dz

مقدمة

تعتبر بعض المفاهيم والمصطلحات كالتعلم الإلكتروني¹ والتعلم على الخط² من أهم التعبيرات الدالة على التحولات الحاسمة الجارية في الوقت الحاضر في ميدان التعليم والتعلم، بحيث تلعب الجامعة دورا رئيسيا في هذه العملية التطورية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتحولات السريعة الناجمة عن إدخال وتطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصال ضمن سياق الجامعة، بحيث ضُمّت فكرة الجامعة المفتوحة³ وانطلاقا من السبعينات والثمانينات جميع التقنيات المتاحة للتدريس وأصبحت مرجعا للعديد من البلدان، ويبدو أنه يوجد شبه اتفاق بين الباحثين أن سبيل انتشار المعرفة ومستقبل التعليم سيكون من خلال التعليم البعدي بكل أنواعه.

إن الحركة التي عرفتها فترة التسعينات كتحرير التعليم⁴ من الحدود المادية والزمنية للمدارس والأقسام وقاعات التدريس، والتي تطورت مع العقد الأول من الألفية الجديدة، قد وصلت حاليا لنقطة انفجار حقيقية على المستويين التكنولوجي والاستخداماتي بحيث نلاحظ عددا من الميزات المشتركة كالإدماج الهائل للاتصال الوسيط عبر الحاسوب CMC وتوسيع وتنويع الولوج، بالإضافة لمجتمعات التعلم والتعلم الشخصي، أين عملت هذه العوامل مجتمعة على تشكيل ما يعرف بالجامعة الافتراضية المرنة والقابلة للتوزيع.

في هذا السياق، أصبح واضحا كيف تشكل الإنترنت وبيئاتها المختلفة على الخط أدوات تغيير، بحيث انتقل من خلالها التعليم عن بعد من نمط one-to-many الذي ميز فترة الثمانينات مع قلة أو انعدام التفاعلية في الاتجاهين، إلى نمط many-to-many المرتكز على التفاعلات بين طرفي العملية مُعلم-مُتعلّم⁵ تميزها أشكال من التقاسم والتعاون التي يمارسها المُتعلّم ضمن القسم الافتراضي، وقد حث هذا الواقع الجديد على تغيير حيوي في النماذج السابقة (Ronaldo Santos, 2010)، وأعطى معنى جديد لمفاهيم التدريس والتعلم والمباني وتطلب إعادة تنظيم العملية، خاصة وأن البيت والمكتب أصبحا فصولا دراسية ودورات افتراضية تضاهي تلك القائمة على وجه لوجه.

تستلزم جميع هذه التغييرات وتحث على إعادة تعريف أدوار الفاعلين في العملية، وخاصة طرفيها: المعلمين والطلاب. إن صورة المعلم باعتباره مسؤولا عن تمرير المعرفة التي يتحرك الطلاب وفقها تكاد تختفي، بحيث تحتاج "إعادة هندسة" العملية التعليمية المقترحة إلى إنشاء فرق متعددة التخصصات تكمل بعضها البعض وتستوجب استبدال التسلسل الهرمي للوظائف بالعمل التعاوني، الذي يعمل فيه الأستاذ بوصفه ميسر ومدير للعملية التعليمية، أين يقوم بربط المعارف المكتسبة للطلاب ومحتوياتها المقترحة من أجل بناء معارف جديدة وفق مقاربة تفاعلية/اجتماعية كما دعا إليها كل من Piaget and Vygotsky.

بتموقع الطالب في الطرف الآخر للعملية التعليمية، وتركز عليه العملية كاملة وتوجه إليه الابتكارات والاستراتيجيات، فقد أصبح مطالبا بالمشاركة ومدعوا للبحث وتبادل المعلومات، وهو جوهر الاستقلالية⁶، والتي تعتبر مهارة أساسية للمتعلم في كل من التعليم التقليدي والبعدي، وقد أشار⁷ إلى ضرورة الاستثمار في تعليم انساني لأفراد مستقلين ومبدعين، ويتحقق ذلك بناء على اكتساب فكر نقدي، ابداعي، وتشاركي.

و مع ذلك، يجد المتأمل للأدبيات المتعلقة بموضوع التعليم عن بعد، نظرة متحاملة تصفه بالرداءة والبرودة إذا ما قورن مع التعلم وجه لوجه، بحيث قبول بكثير من التوجس الذي يواجه عادة كل جديد ضمن المجتمع، وتنبني هذه النظرة على مجرد تخمينات يطرحها أولئك الذين لم يحتكوا بهذا النمط التعليمي الجديد، ولكنها سرعان ما اختفت تدريجيا مع ازدياد الإقبال على التعليم الإلكتروني خاصة في الدول المتقدمة بحيث يدرك

¹ E-Learning

² Online Learning

³ The Open University

⁴ Learning

⁵ tutor-learner

⁶ autonomy

⁷ Galeffi

المشاركون فيه ومن خلال خبراتهم كيف أن عنصر المسافة والقرب الفيزيقي يأخذ معنى ومنحى آخر يختلف عن المجزّب وجهاً لوجه.

انطلاقاً مما سبق، نخوض في تحليل العلاقة بين مفاهيم الدراسة ونتساءل عن علاقة استقلالية المتعلم بالتعلم عن بعد؟ ودور التكنولوجيا والأدوات التعاونية على الخط في هذه السيرورة؟

التعليم عن بعد والتكنولوجيات الجديدة:

يشير الباحثون إلى أن التعليم عن بعد^١ هو مجال التعليم الذي يركز على طرق التدريس تقوم على توظيف التكنولوجيات الجديدة بهدف تقديم غُط تعليمي/تعلّمي يكون في كثير من الأحيان على أساس فردي، لطلاب غير حاضرين في البيئة التعليمية التقليدية (الفصول الدراسية)، وقد وصف على أنه "عملية وجدت لخلق وتوفير الولوج (الوصول) إلى التعليم/التعلم عندما يفصل الزمن والمسافة أو كليهما بين مصدر المعلومات والمتعلمين (Honeyman, 1993) ويمثل بذلك مجموعة مقاربات تحرر المتعلمين -الفرديين والمجموعات- من قيود الزمان والمكان وتوفر لهم فرصاً تعليمية مرنة. تستخدم معظم الجامعات المفتوحة^٢ تكنولوجيات التعليم عن بعد باعتبارها منهجيات توزيع وإبصال للمعارف (Daniel 1998, 15)، وقد غما بعضها لتصبح جامعات ضخمة^٣ كلفظ تمت صياغته للدلالة على المؤسسات التعليمية التي يصل عدد طلبتها مئة ألف طالب طالبا ١٠٠,٠٠٠.

تم التأكيد على التأثير المحتمل للتعليم عن بعد على التعليم كلية من خلال تطوير تقنيات الإنترنت، يمكن وصفها بأنها التعلم الذي ينطوي على اقحام تكنولوجيا المعلومات وتطبيقات الحوسبة والاتصالات في أكثر من موقع، وقد أشار^٤ إلى أن المبدأ الأساسي للتعليم عن بعد هو الفصل المكاني الموجود بين الأستاذ والطالب (Casarotti, 2002)، أين تأتي الموارد التكنولوجية^٥ لتغطية هذه المسافة وملء الفراغ.

يكمن الدور الأساسي الذي تلعبه الانترنت والتكنولوجيات الجديدة هو قدرتها على تعزيز التعاون، الذي يهدف الطلبة والأساتذة تحقيقه والمجتمع العلمي ككل، وذلك من خلال الدخول في نقاشات وتقاسم الخبرات والمعارف، كما ساعد تواجد الإنترنت في طرح ميكانيزمات جديدة عملت على تسهيل تحقيق هذه النشاطات، فالاتصال المتزامن^٦ على وجه الخصوص طور من خلال توظيف خدمة المحادثة والحوار أو الدردشة الالكترونية المباشرة والمستمرة عبر الإنترنت^٧ بوصفه تطبيق يسمح لشخصين أو أكثر متصلين بالإنترنت بتبادل الملفات والمحتويات بأنواعها، كما عملت الدردشة على الخط^٨ من خلال الواب بتوسيع قبول هذه التقنية، وقد تنبأ هيلز^٩ في كتابه "the future of printed word" بإمكانية الاتجاه بعيداً عن المحيط التعليمي الرسمي-كبناء مخصص للتعليم أين يعطي المعلمين الدروس ويجلس الطلبة لتلقي الدروس- نحو نظام تعليمي يركز على المنزل^{١٠} بمعنى، توفير إمكانية الخوض في النشاطات التعليمية الرسمية وغير الرسمية من نقاط ولوج مختلفة وبطريقة تشاركية وتعاونية (Hills, 1980)، وهو ما تعمل الحواسيب بأنواعها على تحقيقه بعد إبصالها بالإنترنت وإدماج بعض البرامج والتطبيقات في تصميم عملية التعليم هذا ما سنتطرق إليه في النقاط الموالية من خلال التعرض والتركيز على التكنولوجيا والتطورات التقنية والاستخداماتية التي صاحبها وما سمحت به في سبيل إشباع رغبة التعلم

¹ Distance Learning

² open universities

³ mega-universities

⁴ Casarotti

⁵ technological resources

⁶ synchronous

⁷ Internet Relay Chat

⁸ online chat

⁹ Hills

¹⁰ home-based educational system

والتعليم عن بعد لدى كل من الأستاذ والطالب وإسهامها في تغيير تصوراتنا للعلاقة التي تجمع التكنولوجيا بتجربة التعليم الجامعي.

التعلم التعاوني/التشاركي^١

يحدث التعلم التشاركي نتيجة عمل مجموعة من الطلبة في شكل فريق ضمن الأقسام البحثية وانتقل حالياً وتوسع في العالم الافتراضي، بحيث يستند التعلم التشاركي على تقليد المعرفة البنائية، بمعنى أننا نتعلم من خلال عملية معايشة التجارب ثم التفكير والتبصر فيها، وهي عملية غالباً ما يكون القيام بها أفضل مع الآخرين، ما يسمح بفهم مختلف للعالم، بحيث يجادل^٢ بأن عملية التعلم يجب أن تشكل جزءاً من الأنشطة والعلاقات اليومية. (Cooper, 2010) يتم التعلم التشاركي بين مجموعة من الطلبة يهدفون من خلاله لمساعدة بعضهم في المسائل البحثية، ويتدخل المعلم ضمن العملية عن طريق مجموعة استراتيجيات تعليمية مستنبطة من مقاربات نظرية مختلفة، والتي تعمل على تشجيع التفاعلات بين الطلبة ويشارك فيها الأستاذ بصفته موجهاً لا أكثر. يصبح التعليم ضمن هذه المجموعات المهيكلة عملية يشارك فيها الجميع بهدف زيادة المعارف، مساهمين في تبادل الأفكار والخبرات والمفاهيم وتقييمها.

يرتكز التعليم في أقسام الجامعات التقليدية على عملية إرسال المعلومات من الأستاذ للطلبة، بحيث يلقي المحاضرة ويطالب المتعلمين بمجهودات فردية مستقلة وهو ما يدعوه "banking approach" (Freire, 1993) أين يتم تجاهل المهارات الاجتماعية والعلاقات، في حين يؤكد التعلم التعاوني أو التشاركي على قيمة عمل المجموعة والترايط بين الطلبة، مع تشجيع العضوية غير المتجانسة والقيادة المتكاسمة^٣ بين كل الأعضاء.

التعلم من خلال الأقران^٤

قدم كل من Lave and Wenger (1991) معلومات مفيدة حول ما يعرف بالتفاعلات بين المتدربين^٥ والتي تدعم "تعلم الأقران"^٦ الذي يشكل نقيض الأسلوب الواسع الانتشار سابقاً أو ما يعرف بالتفاعلات (متخصص-متدرب)^٧ التي يميزها هيمنة الأول وتحكمه في سير العملية التعليمية.

يمثل "تعلم الأقران" ذلك النمط التعليمي الذي يشارك فيه الأطراف المتساوون إلى حد بعيد -بغض النظر عن وضعيتهم الاجتماعية- ويتعاونون من أجل التعلم من بعضهم البعض في مواقف حقيقية بهدف الاستفادة من خبراتهم التعليمية ومكاسبهم الاجتماعية والثقافية. ينطوي هذا النوع من التعليم على بيئة دون تهديدات أو مجتمع تعلم (Topping, 1998)، ويعمل على إزالة هيمنة سلطة المعلم على الطالب وإشراك الطلبة في عملية التقييم، بحيث ينتج عن ذلك العديد من الفوائد والمكاسب الاجتماعية وتشمل تطوير المعرفة، المبادئ، النظريات والمفاهيم، وتطوير المهارات (التعامل مع الآخرين، مشروع الإدارة، دعم الأقران، التفكير...).

يقترح Smith (1983) أن مفتاح تعلم الأقران يكمن في مناخ الدعم المتبادل الذي يصممه المتعلمين بأنفسهم أين لا يترددون في التعبير عن آرائهم واختبار أفكارهم (Smith, 1983) كما يعرضون ويطلبون حسب حاجتهم. هذا النوع من التعليم التشاركي والتعاوني النشاط عززته البنائية^٨ التي تمثل في حد ذاتها ظاهرة يخوض من خلالها المتعلم النشاط في ظروف تعليمية ومن خلال خطاب اجتماعي، الحوار، والحديث والتفاوض لبناء المعرفة وإنتاج معنى جديد، كما يفترض Doolittle أن البنائية تركز على مجموعة من المبادئ النظرية (Doolittle, 2004) :

¹ Collaborative Learning

² Dewey

³ shared leadership

⁴ Peer Learning

⁵ apprentice-apprentice

⁶ Peer Learning

⁷ master-apprentice

⁸ Constructivism

- يجب أن يتم التعليم في بيئات حقيقية.
- يجب أن يشمل التعليم التفاوض والوساطة الاجتماعية.
- على المتعلم أن يبذل المهارات ويشارك المحتويات.
- يجب أن تفهم المهارات والمحتويات ضمن إطار معارف المتعلم السابقة.
- يجب تقييم الطلبة، وذلك من أجل الخبرات التعليمية المستقبلية.
- ينبغي تشجيع الطلاب ليصبحوا منظمين ذاتيا وعدد من الصفات الإيجابية.
- دور المعلمين أن يكونوا مرشدين وميسرين للتعليم، وليس كمدرسين.
- يجب على المعلمين أن يقدموا ويشجعوا وجهات النظر وتصورات المحتويات المختلفة.

الأدوات التعاونية على الخط:

إن استخدام التكنولوجيات التي توفرها الانترنت يمكن أن تشكل عاملا مسهلا للمرور من نموذج الإرسال^١ إلى نموذج بنائي^٢ بحيث توفر التكنولوجيات على الخط عددا من أدوات الواب الجديدة ذات النمط التزامني وغير التزامني مثل (ويكي، مدونات، RSS، دردشة، أدوات)^٣ وغيرها من التقنيات والتطبيقات التي أدى دمجها وتحسينها لظهور الواب (٢,٠) الذي عزز طرق التعلم في الفضاءات الافتراضية (Dede, 2005)، أو ما أصبح يطلق عليه حاليا e-learning 2.0 أين تشكل هذه الأدوات وسيط للمجتمعات الافتراضية من أجل التعلم المشترك وبناء مستودعات المعرفة من خلال التفاعل حول المحتوى المنشور فرديا أو تشاركيا. تحمل تطبيقات الواب 2.0 تصميميا تشاركيا، تشجع العلاقة peer-to-peer وتسمح للمستخدم بأن يصبح co-creators للمعلومات الموجودة في الواب، بحيث يؤكد الباحثين أن تركيز الواب حاليا قد تغير من الوظيفة الإعلامية إلى منصة للحوار والتخاطب، وستتطرق فيما يلي لأهم الأدوات التي تسمح بذلك: (Dede, 2005)

- Weblogs

المدونة هي أداة اتصالية على الخط، تسمح للمستخدم بنشر محتوى معين (مقالات، صور، فيديو، عروض تقديمية...) تحرر المستخدم من قيود المشاركة، تحمل تحديثات متواصلة، وتشكل التعليقات المكتوبة حول كل محتوى منشور الجانب التشاركي والتفاعلي فيها.

- Wiki

هي صفحة أو موقع يمكن للمستخدمين رؤيتها وتغييرها، وتختلف عن المدونات من حيث أنها تحمل أصوات متعددة مشتركة، ومهيكلية حسب المواضيع وتبقى مفتوحة دائما للإضافات والتطور، بحيث تقدم إمكانات جديدة للتعاون وطريقة لتقاسم المعرفة على الواب.

- Social tagging

تعني هذه التقنية عملية الوسم الاجتماعي كما تدعى أيضا بـ bookmarking، وهي مواقع دورها الأولي تنظيم المعلومات والموارد للأفراد من خلال الواب، بحيث تشكل أداة لإدارة الموارد الشخصية والمعرفة، وترتكز على الانفتاح بحيث تسمح للجميع رؤية محتويات بعضهم، وتمثل بذلك أداة ممتازة لتقاسم الموارد.

¹ Transmission Paradigm

² Constructivism Paradigm

³ Wikis & blogs RSS, chatting, tools

استقلالية المتعلم^۱:

بتعرض الدارسون في مناقشاتهم لمفهوم استقلالية المتعلم لفكرة اساسية مفادها وجود سعي ومحاولات متواصلة يقوم بها الأفراد لتحقيق الاستقلالية، ويعتبرون هذه المحاولات عبارة عن سيورة تمكنهم من التخلص من التبعية لغيرهم، بحيث تتغير وضعياتهم عبر الزمن ووفقا للظروف المحيطة، وعليه يعمدون لتجربة كل من الاستقلالية والتبعية وإدارتهما وفقا لاحتياجاتهم ليتمكنوا من الوصول لخيارات واضحة، لكن لابد من الانتباه الى أن الانفصال الكامل عن الغير هو حالة مرضية غير عادية، وهي الفكرة التي يطرحها Little (1991): "بصفتنا كائنات اجتماعية، فإن استقلالنا متوازن دائما بالتبعية (تبعيتنا للغير) dependence، ووضعنا الأساسي هو الترابط، في حين أن الانفصال التام هو سمة أساسية محددة لا تتعلق بالاستقلالية و إنما بالتوحد autism، بحيث يعاني الأطفال المصابون بالتوحد من اعتلال اجتماعي حاد، عُرِف على أنه عدم القدرة على الخوض في تفاعل تبادلي"

فحص Gremo & Kiley (1999) الأرضية التاريخية للاستقلالية بالإضافة للأفكار والمفاهيم التي ساهمت في تطوير مفهوم استقلالية المتعلم وتوصل الى تحديد عوامل مهمة ساهمت في بروز استقلالية المتعلم: (Gremo, 1999)

- حركات حقوق الأقليات، Consumers, Women's Libbers
- ردود الأفعال ضد السلوكيون ضمن علماء التربية، الفلاسفة، علماء النفس، واللغويون.
- تطور تعليم الراشدين.
- تزايد أعداد الطلبة في المدارس والجامعات، الولوج الواسع للتعليم في كل بلدان العالم و تطور الهياكل التعليمية للتعامل مع الأعداد الواسعة للطلبة.
- تزايد الطلب لتعلم اللغات الأجنبية.
- تسويق الكثير من النصوص اللغوية وإدراك دور المتعلم، وقدرته على الاختيار.
- التطور التكنولوجي، التلفزيون والفيديو، الفاكس، الإيميل...الخ.
- فُرّق Little (1994) بين الحجج التعليمية العامة للاستقلالية والحجج السيكلوجية، تشير الأولى للتقدم الذي أحرزته الدول الديمقراطية التي طالبت باتخاذ تدابير تعليمية لتطوير قدرة مواطنيها على التفكير والتصرف الحر القائم على التقرير الذاتي. من جانب آخر تشير الحجج السيكلوجية وتقتصر بأن المتعلمين الأكثر كفاءة هم الذين يعرفون كيفية استيعاب المعلومات الجديدة انطلاقا مما يعرفونه بالفعل وكيفية نقل معارفهم ضمن مهام تعليمية جديدة (Božena, 2015).
- قدّم Cotteral (1995) أسباب فلسفية، بيداغوجية وأخرى عملية لاستقلالية المتعلم، بحيث تشير الأسباب الفلسفية للاعتقاد بأن المتعلمين يملكون الحق في اختيار ما يتعلق بتعلمهم، وذلك لتعظيم خياراتهم الحياتية maximizing their life choices وتشير الأسباب البيداغوجية لشعور الأفراد بمزيد من الأمان في تعلمهم، بحيث يتعلمون بشكل أكثر فاعلية لما يتمكنون من المشاركة في اتخاذ القرار بخصوص وتيرة، تسلسل، نمط، ومحتوى التدريس (Joiner, cited in McCafferty 1981)، أما الأسباب العملية فهي تتلخص في كون المعلم لا يمكن أن يكون متاحا بشكل دائم لمساعدة المتعلمين (Cotteral, 1995)، وعليه لابد عليهم أن يتعلموا من تلقاء أنفسهم .
- يشير الدارسون الى أن مفهوم الاستقلالية يأخذ أشكال عديدة وفق سياق التعلم، محتوى التعلم، سيورة التعلم وكذلك سمات المتعلم، ويعترف^۲ بوجود الاستقلالية في عدد واسع من السلوكيات باعتبارها قدرة على الانفصال، ويفضّل Benson اعتبارها القدرة على التحكم في عملية التعلم، وقد عُرِفَتْ بأنها (Benson, 1997)

¹ Learner Autonomy

² learning contexte

³ Content

⁴ Process

١. الوضعيات التي يدرس فيها المتعلمون بمفردهم بشكل كلي.
٢. مجموعة المهارات التي يمكن تعلمها و تطبيقها في التعلم الموجه ذاتيا.
٣. القدرات الوراثية التي يتم قمعها عن طريق التعليم المؤسسي.
٤. ممارسة المتعلم المسؤولية عن تعلمه.
٥. حق المتعلمين في تحديد اتجاه التعلم الخاص بهم.

وأكد Nunan (2000) على أهمية استقلالية المتعلم وبين أنها تُفهم على أنها القدرة على إدارة وضبط الفرد لأفكاره ومشاعره وأفعاله الخاصة بكل حرية ومسؤولية، وبين كيف تساعد المتعلمين في العثور على أساليب تعلم فردية خاصة بهم، والبدء في الإيمان بقدراتهم الخاصة، وفي النهاية، أن يصبحوا متعلمين مستقلين. كما تشمل الاستقلالية أيضا على الدور المستمر والمهم للمعلمين في تعزيز الميزات النفسية والقدرات العملية المتعلقة باستقلالية المتعلمين (Ahmadzadeh Robab, 2014) وكذلك في إشراك ما حققه الطلبة من استقلالية ضمن الممارسة داخل الفصول الدراسية.

الاستقلالية بوصفها سيرورة تفاعلية بين المعلم والمتعلم:

لقد ربط المفهوم المبكر للاستقلالية وفقا للثقافة الغربية بعدد من المفاهيم مثل الفردانية والتعلم الفردي والذاتي، أين يكون للمتعلمين الحرية الكاملة لاتخاذ قرار حول كل عمليات التعلم بدءا من وضع أهداف وصولا لتقييم تعلمهم دون وجود معلم. بدلا من ذلك، يقترح الدارسون أنه يمكن تطوير الاستقلالية من خلال التفاعل و التعاون مع الآخرين في البيئات الاجتماعية (; Benson, 2011; Cooker, 2013; Little, 2000, 2007, 2009; Murray, 2014) ويسمح هذا التفاعل للمتعلمين بتحقيق أهدافهم التعليمية وبناء المعرفة الاجتماعية من خلال الخوض والتعاون مع الأقران والمعلمين، أين يقومون بعملية صنع قرار جماعي متعلق بتعلمهم ويتقاسمون مسؤوليات تحقيق أهداف التعلم وهو ما يوفر الاعتماد المتبادل² الذي يسمح بدوره تطوير الاستقلالية، وذلك من منطلق أن المتعلمين قادرون على التفاعل بشكل كامل مع عالم يسيطرون عليه، وتكون لديهم السيطرة على عملية التعلم والمحتوى (Cooke, 2013).

قدم Holec تعريفا كلاسيكيا للاستقلالية ذكره العديد من الباحثين، بحيث يعتبرها "القدرة على تحمل عبء التعلم الذاتي...وتحمل المسؤولية عن جميع القرارات المتعلقة بكل جوانب التعلم" (Holec, 1981) ويبدو من خلال ذلك فكرة تسليم السلطة والسيطرة والمسؤولية من المعلم الى المتعلم، وفيل للتساؤل حول واقعية هذا ضمن القيود التي يطرحها التعليم التقليدي. ويرى (Dam 2000) أن التعلم المستقل يحدث في بيئة تم انشاؤها من طرف المعلم، ويمنح المتعلم فيها امكانية أن يصبح واعيا ومشاركا نشطا في عملية تعلمه، وعليه تنطوي هذه السيرورة على فكرة التغيير في الأدوار بين المعلم والمتعلم، حيث يعمل كلاهما لمصلحة المتعلم.

يلفت الباحثون الانتباه للتحويل في السيطرة³ من المدرسين الى المتعلمين، وينضوي ذلك على تغيير في الأدوار، ويعتبر المعلمون في كل السياقات التعليمية الواجهة البشرية التي توجد بين المتعلمين والموارد، بحيث يستطيعون فقط مساعدة الطلبة على تطوير القدرة على التفكير النقدي، ولا يعني الاستقلالية أن يصبح المعلم شيء زائد وإضافي، وإنما يقوم فقط بتغيير دوره من كونه مصدرا للمعلومات الى مستشار ومدير للموارد التعليمية وفق (Yang, 1998) مساعد، ميسر، مرشد، مشارك نشط، ويضيف Benson دور المعلمين في الوساطة بين حق المتعلم في الاستقلالية والقيود التي تمنعه من ممارسة هذا الحق.

وأشار Little الى أن جوهر استقلالية المتعلم هو الرغبة، والمشاركة الاستباقية والتأملية (Little 1991, 2007) وانطلاقا من هذا لا تكون الادارة الذاتية للتعلم هي الهدف النهائي وإنما الوسائل التي يمكننا تسخيرها لرفع قدرة المتعلمين على الفعل، فعملية التعلم قائمة على نشاط المتعلم ومبادرته، وإحساسه بهويته وقدراته المعرفية

¹ Little

² interdependence

³ control

والخبرات التي اكتسبها خارج القسم الدراسي (Van Lier, 2008)، ذلك باعتبار أن وكالة المتعلم^١ حدث اجتماعي لا يحدث في الفراغ، وبذلك تكون استقلالية المتعلم ظاهرة تفاعلية/اجتماعية^٢ كما أنها فردية/معرفية^٣. ويؤكد الدارسون على أن الاستقلالية هي عبارة عن سيورة تقدم فردية، تدريجية^٤، وغير منتهية، بحيث تكون الوضعية الأكثر انتشارا وشيوعا هي التي تعبر عن متعلمين ليسوا مستقلين بعد، ولكنهم يشاركون في عملية اكتساب القدرة على تحمل المسؤولية عن تعلمهم، ويدعم (Candy 1991) هذه الفكرة ويرى أن استقلالية المتعلم هي عملية مستمرة مفتوحة للتدخلات التعليمية بدلا من كونها وضعية يتم التوصل إليها مرة واحدة وإلى الأبد، وعليه فإنه من الضروري تعليمها وانتزاعها^٥ (FERNANDES, 2001; ANDRADE, 2003) وبذلك لا تكون الاستقلالية مجرد منتج^٦ وإنما سيورة^٧ لها مراحل ودرجات أو مستويات عديدة. وقد فرق Littlewood بين شكلين من الاستقلالية: النموذج الأول هو الاستقلالية الاستباقية^٨ أين يدير المتعلمين أنفسهم أنشطة التوجيه والتعلم، أما النموذج الثاني فهو الاستقلالية الرجعية/الارتكاسية^٩ أين يجب على المتعلمين إدارة أنشطة التعلم وموارده بعد تحديد الاتجاه والأهداف من قبل المعلم. (YANG Tao, 2005)

من جانب آخر، وجب التساؤل عن سمات المتعلم المستقل وما هي خصائصه، وقد ذكر Breen & Mann (1997) ضرورة أن يمتلك المتعلم المستقل رغبة في التعلم وأن يمتلك صورة ذاتية ايجابية جنبا إلى جنب مع القدرات ما وراء المعرفية وإمكانية تحمل التغيير والتفاوض مع الآخرين، وبذلك يكون الأقدر على الاستفادة من البيئة التعليمية بشكل استراتيجي، ويشير Omaggio إلى سبع صفات تميز المتعلم المستقل^{١٠} وهي: (Thanasoulas, 2000)

- لديه نظرة ثاقبة على أساليب واستراتيجيات التعلم الخاصة به.
- اتخاذ مقارنة نشطة اتجاه مهمة التعلم.
- على استعداد لتحمل المخاطر - للتواصل باللغة المستهدفة بأي ثمن.
- لديه قدرة جيدة على التنبؤ.
- قادر على الولوج للشكل وكذلك المحتوى، أي يعطي أهمية للدقة و الملاءمة.
- تطوير اللغة المستهدفة في نظام مرجعي منفصل مع القدرة على مراجعة ورفض الفروض والقواعد التي لا تنطبق.
- اتباع مقارنة تتسم بالانفتاح اتجاه اللغة المستهدفة.

في هذه الوضعية، يعمل الأساتذة بوصفهم ميسرين للعملية التعليمية بمساعدة الطلبة ليصبحوا واعين بنقاط قوتهم وضعفهم وأنماط تعلمهم ودعمهم لتطوير استراتيجيات تعليمية تمكنهم من التفكير في تعلمهم الذاتي ووضع خطط للأفعال المستقبلية^{١١}، وانطلاقا من هذا يصبح الطلبة أكثر عرضة لتطوير استقلاليتهم في عدة جوانب والتي تتميز بالقدرة على الانفصال، التفكير النقدي، اتخاذ القرار والفعل (العمل).

¹ agency

² social-interactive

³ individual-cognitive

⁴ gradual

⁵ taught & conquered

⁶ product

⁷ Process

⁸ proactive autonomy

⁹ reactive

¹⁰ autonomous learner

¹¹ future action

استقلالية المتعلم و التعليم عن بعد، وساطة التكنولوجيا:

تربط استقلالية المتعلم بالتعليم عن بعد بالدرجة الأولى عن طريق وساطة التكنولوجيا، وهي في الحقيقة علاقة متبادلة ومتكاملة، وتشكل نظرية Moore الموسومة بـ transactional distance إحدى النظريات الأساسية في التعليم عن بعد والتي تشمل ثلاثة متغيرات رئيسية هي: الحوار^١، البنية^٢، واستقلالية المتعلم^٣. يشير الحوار إلى التفاعل بين المتعلمين والمعلم، ويتم تعريف البنية نسبة لمستوى المرونة والصلابة التي تميز الدروس، وتعتمد استقلالية المتعلم على كل من الحوار و البنية التي تنطوي على قدرة المتعلمين على التحكم في تعلمهم وإدارته بطريقة ذاتية من خلال وضع خطة تعلم، وإيجاد الموارد التي تدعم الدراسة والتقييم الذاتي (Aggeliki, 2017).

ويبدو أن هذه المتغيرات تنطبق على كلا التعليمين (التقليدي والبعدي)، بحيث لا تعد استقلالية المتعلم قدرة فردية فقط وإنما تدريب يساهم فيه المجتمع، وقد وردت هذه الخاصية الفردية في الكثير من الأبحاث المهمة بوساطة التكنولوجيا في التعليم^٤ بحيث أشار Moore & Keasley للعلاقة المباشرة الموجودة بين "بعد العلاقة" و "الحاجة إلى الاستقلالية"، فالبعد الجغرافي الفاصل بين المعلم و المتعلم -عندما يمنحه الوقت للدراسة، الوصول للمحتويات، البحث عن الأساتذة وقت الحاجة- يرتبط أيضا بمبادرة المتعلم وإرادته في تعزيز قدراته (Martins, 2016)، كما أن للنظام التعليمي دور في بناء المهارات المتعلقة بالوصول لإدارة تعلم مستقل، فتحقيق ذلك ليس مرهونا فقط بالكفاءات الفردية للوصول إلى المعلومات وتنظيمها ومعالجتها واستخدامها لمشاركتها اجتماعيا، وإنما يرتبط أيضا بالنمو الاجتماعي للفرد الذي تطلبه المدرسة بالمشاركة بشكل موضوعي، وعليه تنبع الاستقلالية من علاقات متحررة، كاملة، مع أبعاد الحياة المختلفة والتي تنطوي على الجوانب الفكرية و الأخلاقية والعاطفية والاجتماعية و كذلك السياسية.

أشارت هورد إلى أن "الاختيار الواعي" و"المشاركة الذاتية والموجهة" هي خصائص للاستراتيجيات التي تميز التعلم عن بعد أو في البيئات الموزعة، وهي كذلك خصائص تميز مقاربة الاستقلالية لدى المتعلم ، وأضافت كيف أن اقبال المتعلمين على أجهزةهم الخاصة وكيفية تطويرهم للمعرفة والقدرات والمهارات ما وراء المعرفة ليست فقط جزءا أساسيا من التعليم الفعال وإنما شرطا أساسيا له (Hurd, 2000)، ومماشيا مع هذا، فإنه إذا أُريد للمتعلّمين أن يصبحوا أكثر فعالية، فإنه ينبغي تدريبهم على تطوير القدرة على اتخاذ خيارات حول تعلمهم ليصبحوا أكثر تأملا، نقدا، ورغبة في خوض التجارب، و تدخل العوامل المعرفية والعاطفية، مثل الثقة بالنفس، الوعي الذاتي، القدرة على التفكير النقدي والابداعي واستقلالية العقل (Waters and Waters 2001) في مساعدة الطلبة على أداء مهامهم التعليمية بكفاءة وثقة، ومع هذا الدور النشط يصبح الطلبة مشاركون في مهمتين لطالما اعتبرتا جزئا من أدوار الأستاذ في التعليم التقليدي وهما: تصميم المنهج^٥ والتقييم^٦، أين تلعب التكنولوجيا والأجهزة دورا محوريا من حيث دعمها للولوج الذاتي، نظرا لمزاياها المحفزة والديناميكية واحتوائها على الموارد المشجعة للتواصل بين المستخدمين حول العالم والداعمة لاستراتيجيات التعلم الجديدة القائمة على: الجوانب المعرفية، ماوراء المعرفية، والاجتماعية-العاطفية.

ساهمت الأجهزة المحمولة^٧ وتطبيقاتها الحاملة لبعض الميزات الفريدة في السماح بخبرات تعليمية لم تكن ممكنة مع التعليم التقليدي، ويذكر Sung, Chang, and Yang (2015) أربع خصائص تجعل تعلم اللغة عبر الأجهزة المحمولة مميزا ومختلفا (Priyatno, 2017) :

¹ dialogue² structure³ learner autonomy⁴ technology-mediated-education⁵ syllabus design⁶ evaluation or assessment⁷ mobile devices

أولاً. التنقل/قابلية النقل: والتي تمكّن من تعلم اللغة، أين يتم في أي وقت وفي أي مكان. ونتيجة لذلك، يستوعب سياق التعلم المتنقل أساليب التعلم الجديدة للطلاب بخلاف الفصل الدراسي التقليدي. ثانياً. التواصل/التفاعل الاجتماعي: تساعد المتعلمين على تبادل المعلومات والتعاون والتواصل مع الآخرين. ثالثاً. مرونة السياق: حيث يمكن للمتعلمين استخدام الأجهزة المحمولة لجمع بيانات محددة من موقع معين، والبيئة، والوقت. يمكن للمتعلمين استخدام الأجهزة للوصول إلى موارد التعلم ذات الصلة. رابعاً. الفردية: مما يعني أن المتعلمين يمكنهم تعديل الأجهزة المحمولة وتخصيصها وفقاً لاحتياجاتهم التعليمية الفردية وأساليبهم ومصلحتهم. وعند عند التفكير في الميزات التي اقترحتها (Sung, Chang, and Yang's (2015 للتعلم المتنقل، يمكن القول أن دمج منصة التعلم المتنقل¹ في التعلم له فعالية كبيرة في تعزيز استقلالية المتعلم من خلال عدة نقاط (Priyatno, 2017): أولاً، يسهل التعلم المتنقل سيطرة المتعلمين على تعلمهم. يمكن للمتعلمين توجيه التعلم الذاتي وإضفاء طابع شخصي لهم، كما يمكنهم تعلم اللغة مثلاً في وتيرتها ومكانها ووقتها. ثانياً، يدعم التعلم المتنقل التفاعل والتعاون مع الأقران والمعلم، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى تشجيع وتوجيه الانتباه والتفكير وما وراء المعرفة. ثالثاً، يمكن التعلم المتنقل المتعلمين من الوصول إلى المواد التعليمية التي صممها المعلم أو استكشاف مواد أخرى بأنفسهم.

خلاصة:

يعتقد البعض أن استقلالية التعلم أو التعلم المستقل² باستخدام التكنولوجيا تعني عمل الطالب أو المتعلم بشكل منعزل، في حين أن الحقيقة غير ذلك تماماً، لأن الاستقلالية التي نقصدها هي التي تدعم الاتصال والتجمع وليس الانفصال والعزلة، فالأنماط التعليمية التي ذكرناها (التعلم التعاوني، التعلم مع الأقران) هي في الحقيقة أساليب تقوم على استقلالية المتعلم وإدراكه لهذه القدرة لديه، كما أنها تعد من جانب آخر داعمة ومشجعة لهذه الاستقلالية من خلال تعزيزها لأبعاد الحوار والتبادل والدعم، والوعي بالذات...الخ بالإضافة لذلك، تجدر الإشارة إلى أن التكنولوجيا لوحدها ليست سوى وسيط، وأن الأجهزة المحمولة والتطبيقات والبرامج لا تعزز بعد ذاتها تطوير الذات بشكل تلقائي، وإنما يجب على المعلم اختيار منصة التعلم البعدي المناسبة والتي تمكّن من استيعاب مبادئ استقلالية المتعلم، كما أنه من الضروري أخذ مسألة المكتسبات السابقة والمهارات المحصلة بعين الاعتبار في أي تقييم للتعليم البعدي، بحيث أشار Alves & Junior (2006) للصعوبات الكبيرة التي واجهت الطلبة في تعليمهم عن بعد ومنعتهم من التحكم، بالإضافة لضعف إقبالهم على قراءة المواد المتاحة والمشاركة في المهام، وإقبالهم على زيارة البيئة الافتراضية فقط لتسجيل الحضور سلبياً. في الأخير يجدر بنا التنويه بأهمية التعليم البعدي في علاقته باستقلالية المتعلم، والذي أثبت فعاليته في رفع مستوى التعليم الجامعي في عدد من البلدان بطريقة مرنة وديناميكية، تتجاوز التركيز على أنماط موحدة وجامدة، من أجل الاستجابة لجميع متطلبات الأساتذة المعلمين والطلبة المتعلمين على حد سواء وفي إطار علاقة تبادلية مع التركيز أكثر على المتعلمين، وهذا للتوجه نحو الأهداف التي ترمي الجامعة تحقيقها من خلال وظائفها البيداغوجية الممنهجة. ومن الواجب على المهتمين بهذا الميدان أن يضعوا في اعتبارهم بأن التكنولوجيا أو الأسلوب التعليمي وحدهما لا يحلان مشاكل التعليم وليس سببا في تدهوره أو في تطوره وإنما الطريقة التي يتم بها تسخير والاستحواذ على هذه الطرق والأنظمة كما الاستعداد المعرفي والتوظيف العقلائي والهادف لها هو الذي يصنع الفارق.

¹ mobile learning

² autonomous learning

References

- Aggeliki Fotiadou (2017). "Learner Autonomy as a Factor of the Learning Process in Distance Education", European Journal of Open, Distance and e-Learning – Vol. 20 / No. 1.
- Ahmadzadeh Robab (2014). "LEARNER AUTONOMY IN PRACTICE", International Journal on New Trends in Education and Their Implications October 2014 Volume: 5 Issue: 4 Article: 05.
- Benson, P., & Voller, P. (1997). "Autonomy and Independence in language learning". London: Longman.
- Božena Horváthová (2015). "Development of learner autonomy: WHY IS AUTONOMY DESIRABLE?" .chapter 6.
- Casarotti, M., Filliponi, (2002): "Educational interaction in distance learning: Analysis of one-way video and two-way audio system". PsychNology Journal, 1.
- Cooker, L. (2013): "When I got a person to communicate with, I got a purpose to learn: Evidence for social modes of autonomy". Chinese Journal of Applied Linguistics, 36(1).
- Cooper. L, Burford. S (٢٠١٠): "Collaborative Learning Using Group Work Concepts for Online Teaching". Published in the United States of America.
- Cotteral Sara (1995): "Developing a course strategy for learner autonomy", ELT Journal Volume 49/3 July 1995, Oxford University Press.
- Daniel, J.S. (1998): "Mega-Universities and Knowledge Media: Technology Strategies for Higher Education". London, UK: Kogan Page Limited.
- Dede, C (2005): "Planning for Neomillennial Learning Styles". EDUCAUSE Quarterly, 28(1).
- Doolittle. P and Camp. W (2004): "Constructivism: the career and technical education perspective", Journal of Vocational and Technical Education, 16(1).
- Freire. P (1993): "Pedagogy of the Oppressed". New York Continuum.
- Gremo, M-J. and Riley P. (1995): "Autonomy, Self-direction and Self access in Language Teaching and: The History of an Idea". System, 23/2. Elsevier Science Ltd Printed in Great Britain.
- Hills, P (1980): "The place of the printed word in teaching and learning". London, Frances printer.
- Holec, H. (1981): "Autonomy and Foreign Language Learning". Oxford: Pergamon.
- Honeyman, M. & Miller, G (1993): "Agriculture distance education: A valid alternative for higher education?". Proceedings of the 20th Annual National Agricultural Education Research Meeting.
- Hurd, Stella (2000): "Distance Language Learners and Learner Support: Beliefs, Difficulties and Use of Strategies, Barcelona: UAB, Servei de Publicacions.
- Little, D. (1991): "Learner Autonomy. Definitions, Issues and Problems". Authentik Language Learning Resources Dublin.
- Martins (2016): "Implications of Autonomy in Learning Managing in Virtual Environment", HOLOS, Ano 32, Vol 8.

- Priyatno Ardi (2017): "Promoting Learner Autonomy through Schoology M-LEARNING Platform In An EAP Class At An Indonesian University" Teaching English with Technology, 17(2).
- Ronaldo Santos (2010): "Autonomy in Distance Learning: Reflections over the learner's role" Rio de Janeiro – RJ – April.
- Smith, R (1983): "Learning How to Learn", Buckingham Open University Press.
- Thanasoulas, D. (2000): "What is Learner Autonomy and how can it be fostered?" The Internet TESL Journal. 6 (11).
- Topping, K (1998): "peer assessment between students in colleges and universities". Review of Educational Research, (68).
- Van Lier, L. (2008) "Agency in the classroom". In Lantolf and Poehner.
- YANG Tao (2005): "An Overview of Learner Autonomy: Definitions, Misconceptions, and Identifications".

HOW TO CITE THIS ARTICLE

Lalidji, Mohamed Amine (2023). Learner Autonomy through Distance Learning Process, the Mediation of Technology. *LANGUAGE ART*, 8(1), 23-36., Shiraz, Iran. [in Arabic]

DOI: 10.22046/LA.2023.02

URL: <https://www.languageart.ir/index.php/LA/article/view/308>



استقلال یادگیرنده در فرآیند یادگیری از راه دور با میانجیگری فناوری

محمد امین لعلجی^۱

استاد مدعو در دانشکده علوم انسانی و اجتماعی، بخش علوم انسانی، گروه علوم اطلاعات و ارتباطات، دانشگاه علی لونیزی، البلیده ۲، الجزایر.

(تاریخ دریافت: ۲۰ اردیبهشت ۱۴۰۱؛ تاریخ پذیرش: ۱۳ بهمن ۱۴۰۱؛ تاریخ انتشار: ۹ اسفند ۱۴۰۱)

هدف از این مقاله تأکید بر اهمیت آموزش از راه دور در رابطه آن با استقلال یادگیرنده است. از زمان تغییر الگوی آموزش از معلم محوری به دانش آموز محوری، راهکارهای زیادی برای مستقل کردن و انگیزه بخشیدن به یادگیری ارائه شده است. مفهوم استقلال ارائه شده توسط چندین نویسنده به فعال بودن فراگیران برای دسترسی، مرور، جستجوی محتوا و برآورده کردن خواسته های معلمان اشاره دارد. این امر محققین را به این نتیجه رساند که استقلال قبل از هر چیز باید از درون نشأت بگیرد، بنابراین، فراگیران را مسئول یادگیری خود کند. در همان زمان، ما بررسی می کنیم که چگونه دانشگاه ها از پتانسیل فناوری های نوظهور تحت وب ۲،۰ برای تسهیل برآورده شدن تمام نیازهای فراگیران و تقویت یادگیری آنلاین و از راه دور فراگیران استفاده می کنند. با استفاده از رویکرد تحلیلی به این نتایج مهم رسیدیم: ۱- نقش میانجیگری فناوری و ابزارهای مشارکتی آنلاین در حمایت از آموزش از راه دور، ۲- اهمیت دستیابی به استقلال فراگیران به عنوان شرط موفقیت آموزش از راه دور، ۳- فناوری و استقلال یادگیرنده الزامات فنی و شناختی جهت موفقیت آموزش از راه دور را تشکیل می دهد.

واژه های کلیدی: یادگیری از راه دور، استقلال یادگیرنده، یادگیری مشارکتی، یادگیری همتایان، میانجیگری فناوری.

¹ Email: m.lalidji@univ-blida2.dz



ORIGINAL PAPER

Learner Autonomy through Distance Learning Process, the Mediation of Technology

Mohamed Amine Lalidji¹

Lecturer at the Faculty of Humanities and Social Sciences,
Department of Humanities, Division of Information and
Communication Sciences, Ali Lounici University, Blida 2,
Algeria.



(Received: 10 May 2022; Accepted: 2 February 2023; Published: 28 February 2023)

In the aim of this contribution is stressing the importance of distance learning in its relation to learner autonomy. Since the shift in the teaching paradigm from teacher-centeredness to student-centeredness, many solutions have been offered to make learning more autonomous and inspiring. The concept of autonomy presented by several authors regards proactivity of learners to access, browse, search content, and meet the demands of the teachers. This led the researchers to the conclusion that autonomy should first of all comes from within, thus, making the students responsible for their own learning. In the same time, we investigate how universities use the potential for emerging technologies under the banner of web 2.0 to facilitate the fulfillment of all learners's needs and to enhance student online and distance learning. Through the use of the analytical approach, we reached these important results: 1-the role of technology mediation and online collaborative tools in supporting the distance learning, 2-the importance of achieving learner autonomy as a condition for the success of distance learning, 3- that technology and learner autonomy constitute the technical and cognitive requirements for the success of distance learning.

Keywords: Distance Learning, Learner Autonomy, Collaborative Learning, Peer Learning, Technology Mediation.

¹ Email: m.lalidji@univ-blida2.dz